امرؤ القيس بن حجر

مولده ونشأته:

هو امرؤ القيس بن حجر الكندي واسمه حندج (٥٢٠ م – ٥٦٥ م) شاعر وفارس عربي، وهو أحد أشهر شعراء العصر الجاهلي رأس الطبقة الأولى من الشعراء العرب التي تشمل زهير بن أبي سلمى والنابغة الذبياني والأعشى، وهو أحد أصحاب المعلقات السبع المشهورة، كان من أكثر شعراء عصره خروجاً عن نمطية التقليد، وكان سباقاً إلى العديد من المعاني والصور.

نسبه: حندج بن حجر بن الحارث بن عمرو بن حجر (آكل المرار) الكندي وله ثلاث كنى هي : أبو وهب، وأبو الحارث، وأبو زيد. اشتهر بلقب امرئ القيس ومعناه رجل الشدة، وعرف بذي القروح لإصابته بالجدري خلال عودته من القسطنطينية، وتوفي بسببه وكندة قبيلة يمنية عرفت في النصوص القديمة باسم (أعراب سباً) أقاموا مملكة في نجد والبحرين وبلغت أوجها في القرن الخامس للميلاد. وولد شاعرنا هذا في نجد في اليمامة عند أخواله من بني تغلب، إذ قيل إن أمه كانت أخت المهلهل بن ربيعة، وهي فاطمة بنت ربيعة، ومن أشعاره حول نسبه يقول:

تطاول الليل علينا دمون دمون		إنا معشر يمانيون وإنا لأهلنا محبون

لقد ترك امرؤ القيس خلفه سجلا حافلا من ذكريات الشباب وسجلا حافلا من بطولات الفرسان وترك مع هذين السجلين ديوان شعر ضم بين دفتيه عددًا من القصائد والمقطوعات التي جسدت في تاريخ شبابه ونضاله وكفاحه، وعلى الرغم من صغر ديوان شعره الذي يضم الآن ما يقارب مئة قصيدة ومقطوعة إلا أنه جاء شاعرًا متميزا، فتح أبواب الشعر، وجلى المعاني الجديدة، ونوع الأغراض، وعده القدماء مثالا يقاس عليه ويحتكم في التفوق أو التخلف إليه؛ ولذلك عني القدماء بشعره، واحتفوا به نقدا ودراسة وتقليدًا، ومن أهم قصائد امرئ القيس معلقته المشهورة قفا نبك)، سنتناول بعضاً من أبياتها:

شرح معلقة امرئ القيس

تعدّ معلقة امرئ القيس من القصائد الطوال، اشتملت على أغراض متنوعة، وعلى شاكلة القصائد الجاهلية قسمت إلى عدد من اللوحات بلغ عددها ستّ لوحات، تحمل كل منها فكرة أراد الشاعر إيصالها، لكن فيما يأتي شرح موجز لبعض منها:

وليل كموج البحر أرخى سدولهُ عليَّ بأنواع الهموم ليبتلي

فَقُلْتُ لَهُ لما تَمَطّى بجوزه وأردف أعجازا وناء بكلكل

ألا أيّها اللّيلُ الطّويلُ ألا انْجَلي بصُبْحٍ وما الإصْباحَ فيك بأمثَلِ

فيا لكَ من ليلْ كأنَّ نجومهُ بكل مغار الفتل شدت بيذبل

امتدت هذه اللوحة من البيت الرابع والأربعين، وفيها يعود الشاعر إلى حالة الهمّ والحزن التي بدا عليها في اللوحة الأولى من القصيدة، فيبث شكواه من خلال تشبيه الليل بموج البحر، وكأنّ الأمواج تتقاذفه وقد أسدل الهمّ ستاره عليه وأرخاه، فيُمعن في إيذائه وزيادة حزنه فيطلب الشاعر من الليل أن ينتهي ويزول علّ حزنه يزول معه، مع أنّ الصباح ليس أفضل منه، لكن هذا الليل من شدة طوله نجومه ثابتة لا تتحرك وكأنها رُبطت بأقوى الحبال بجبل يذبل، وحتى الثريا التي يسترشد بها الساري وقت الليل توقفت هي الأخرى عن الحركة وكأنّها مقيّدة بأقوى الحبال، وهذا كلّه يكشف عن حالة الاضطراب النفسي التي عانى منها الشاعر، ومن المفردات التي تحتاج إلى توضيح ما يأتي:

السدول: الستور.

تمطى: تمدد.

أردف أعجازًا: ازدادت أواخره طولًا.

الكلكل: الصدر.

الأمثل: الأفضل.

يذبل: اسم جبل عظيم.

الأمراس: جمع مرس، وهو الحبل.

صم: صلب.

جندل: صخرة.

السمات الفنية في معلقة امرئ القيس

اصطبغت معلقة امرئ القيس بعدد من الخصائص والسمات الفنية، يُذكر منها ما يأتي:

١. استخدام الجمل الفعلية في القصيدة بنسبة أكبر من الجمل الاسمية؛ لملاءمتها للانفعالات والعواطف فيها.
٢. الاعتماد على الأساليب الإنشائية أكثر من الأساليب الخبرية، والتنويع فيها ما بين أمر واستفهام ونداء.
٣. استخدام الألفاظ والتعابير ذات الصلة والارتباط بحالة الشاعر في كل لوحة من لوحات القصيدة.
٤. توظيف الحقول الدلالية التي تخدم المعنى العام للقصيدة.
٥. جودة التصوير وحسن التخلص والانتقال من لوحة إلى أخرى.
٦. القدرة على الرجوع إلى الماضي مع توافق البعد الزماني والمكاني فيها.